
LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University
مرايا التراث
العدد التاسع – خريف ٢٠١٨/ شتاء ٢٠١٩
مَلَفّ العدد
نافذة على نجمة بيروت
• عفيفة كرم رائدة الرواية في الأَدب العربي
• يوسف الحويك رائد النحت في لبنان
• حميد فرنجية: رجل الاستقلال والمواقف
• ذاكرةُ تُراثنا في أَعمال أَنيس فريحة

زاوية حنين من ذاكرة بيروت: «مقهى الحاج داود»

حكاية جميلة رواها الموج وابتلَعها البحر

عبد الفتاح خطاب
كاتب/باحث في التراث اللبناني

عرفت بيروتُ العتيقة مقاهيَ كانت جُزءًا نابضًا من معالم المدينة، مكانًا للترفيه وتمضية الوقت، إنما كان لبعضها دورٌ حيويٌّ في التواصل بين الأفرقاء، ومنتدياتٍ للقاءات أدبيّة وشعريّة، ومقرًّا للحركات السياسية والنقابية، ومركز تجمُّع لتحريك الرأي العام والتظاهرات والانتفاضات المطلبيّة والشعبيّة، حتى بات بعضها مَعْلمًا أساسيًّا من حركة المدينة، ونقطة استشعار لنبض الناس.

من تلك المقاهي التي تتداعى إليها ذكريات الأصالة، أستعرض تاريخ أقدمها زمنًا: «**مقهى الحاج داود**».

١. من عزال إلى مقهى

الحاج داود بن عبد الكريم بن حسن خطّاب، يتحدّر من عائلة بيروتية عريقة كانت إحدى خمس عائلاتٍ لديها «**منزول**» لاستضافة زوار العائلة وشخصيات تزور بيروت، كما جاء في كتاب «**منزول بيروت**» للمؤرخ المحامي عبد اللطيف فاخوري، أن «**المنزول**» ذو أهمية رئيسة عند البيارتة، وهو بيت ضيافة مُستقل عن المنزل الرئيسي بمدخله وغرفه ومنتفعاته[١].

كان الحاج داود ذات فترة يجتمع بأصدقائه لتدخين الأركيلة في عزال وسط منطقة الأوزاعي، إلى أن وقع سوء تفاهم مع صاحب العزال فقرر أن يكون له عزاله الخاص.

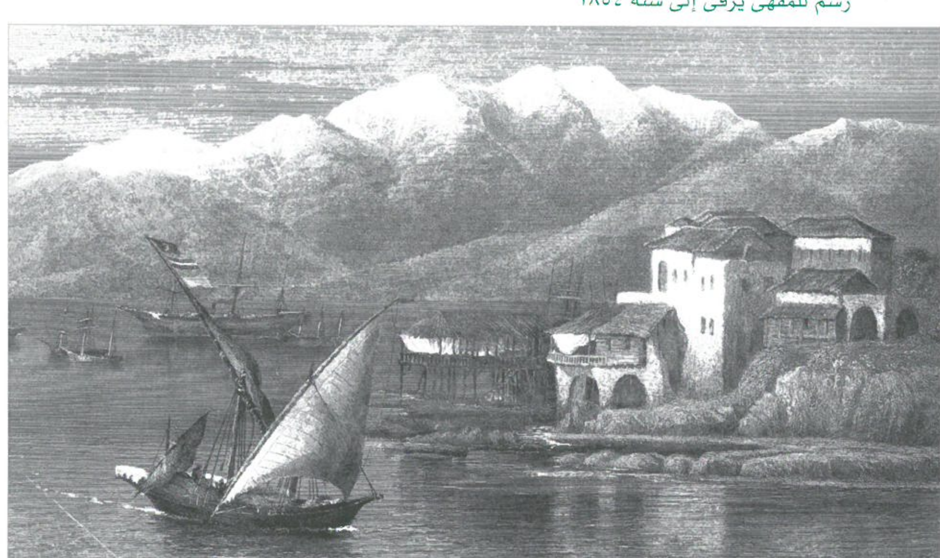
عاين أمكنة عدةً حتى أعجبه موقعٌ قرب مقبرة السُمطيّة الشهيرة (يُقال لها أيضًا الصُنطيّة أو السُنطيّة). قصدَ رئيس الميناء (أو «**ناظر البحرية**») طالبًا مساعدته لاستثمار قطعة أرض من أملاك الدولة، فكان جواب «**الناظر**»: «**نعطيك عشرة أذرع، وإن استطعت ردم البحر حتى جزيرة قبرص تكون ملكًا لك**»[٢].

١) عبد اللطيف فاخوري، **منزول بيروت**، ٢٠٠٣، منزول بيت خطاب، ص. ٣٤٣.

٢) **أرشيف المحامي عبد اللطيف فاخوري**، وثيقة خطيّة كتبها حسن أبو رامز الكردي الذي كان يعمل في مقهى الحاج داود.



رسم للمقهى يرقى إلى سنة ١٨٥٤



تلك المحلة المنتقاة كانت في القرن التاسع عشر تدعى «**الزيتونة**»، وتحولت لاحقًا إلى بقعة مَلاهٍ وحانات ليلية ذاعت شهرتها منذ أربعينيات القرن الماضي، وهي عند فقش الموج مباشرةً، على امتداد صخري يعلو سطح البحر بثلاثة أمتار تشكّل خليجًا صغيرًا بطول ٥٠٠ متر بين عرزال الحاج داود ومقبرة السُمطيّة.

بنى الحاج داود عرزاله على الصخور نحو سنة ١٨٧٠، وراح يدخن فيه أركيلته مع أصدقائه، ثم جعل يقدّم لهم الأراكيل مع ضيافة الشاي والقهوة، إلى أن اقترحوا عليه بناء مقهى يستثمره. ولكن أرض العرزال ضيِّلة (نحو ٦ أمتار مربعة)، لذا استخدم الحاج داود، لبناء مقهاه فوق المياه، أعمدة طويلةً من خشبِ قطراني صلبٍ مستورد من الأناضول (تركيا) مقاومٍ الماءَ والحشرات فلاً يتآكل مع السنين، تمَّ غرسُها عميقةً ومتينةً في البحر، وعليها تمددت أرض المقهى بحيث يستطيع الجالس أن يرى سطح الماء تحته من الفواصل بين الألواح الخشبية. وجيء له بالكراسي الخيزرانية والطاولات الخشبية.

وبعد فترة قليلة أضيف القرميد إلى سقف المقهى، وبُنِيَت على جدرانه نوافذ زجاجيّة تلطمها أمواج البحر، خصوصًا في الشتاء، فتضفي على المقهى طابعًا خاصًا من صوت الموج وانتشار رذاذه.

وكثيرًا ما كان يستبد الانفعال بلاعبي النرد (طاولة الزهر) حتى يرمي النرد بنزَق فيقع هذا من شقوق الألواح الخشبية، لذا تنبّه الحاج داود فجعل لديه دائمًا زوجين من كل نرد بكل طاولة زهر.

٢. في الصحافة والوثائق

صدرت عن مقهى الحاج داود مقالات عدة عن طرافته ونُدرته عهدئذٍ، من أقدمها صورة له نشرتها مجلة **العالم المصوَّر**، برشلونة، ١٨٨١[٣].

ومن وثيقة في ٢٢ رجب ١٣٠٧هـ./١٨٩٠م. حصول مقاسمة قطعة أرض بين ورثة الوالي **مدحت باشا**، في حضور ابنته **فاطمة ممدوحة** التي أفادت بأن والدها «**كان يملك قطعة أرض معروفة بأرض المسلخ في محلة المجيدية من محلة ميناء الحُسن (الحصن) يحدها شمالاً وشرقًا بعضه البحر وبعضه قهوة الحاج داود بن عبد الكريم خطاب ....**»[٤].

٣) Revue *El Mundo Ilustrado*, n° 188, 1881, p. 617.

٤) **أرشيف المحامي عبد اللطيف فاخوري**؛ والسجل الشرعي، رقم ٧٨٢، سنة ١٣٠٧هـ.

مقهى الحاج داود ١٨٨١ (Revue *El Mundo Ilustrado*)

وفي هذا السياق يُروى أن والي سورية مدحت باشا (أبو الإصلاح) زار بيروت سنة ١٨٧٨ وتوجَّه إلى شاطئ البحر عند الطرف الشرقي لخليج الزيتونة، فدخل إلى مقهى الحاج داود وأعجب بموقعه فاشترى قطعة أرض ملاصقة له.

وفي مصادر أخرى، ضعيفة الإسناد، أن الحاج داود أنشأ المقهى سنة ١٨٧٦ مكان فندق قديم كان اسمه «**أوتيل يونيفرس**»[٥]، ولاحقًا أضيف إلى المقهى مطعم ومسبح فبات الاسم «**مقهى ومطعم الحاج داود**».

وفي جريدة «**ثمرات الفنون**» ورد هذا الإعلان: «**إننا اتخذنا في قهوة الحاج داود الشهيرة ببديع منظرها ولطيف موقعها محلاً للطعام على ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين، وأحضرنا له من المعدات ما يكفل براحة الزايرين وانبساطهم، وليس الخبر كالعيان. التوقيع: محيي الدين شْبَقْلو**»[٦].

٥) موقع «**لبنان الجديد**»، نشرة إلكترونية تصدر عن مؤسسة «**المركز العربي للحوار**»، - ٢٠١٦/٧/٢٨ نقلاً عن صفحَة: «تراث بيروت».

٦) **أرشيف المحامي عبد اللطيف فاخوري**؛ وجريدة «**ثمرات الفنون**»، العدد ١٢٢٣، تاريخ ٨ ذو القعدة ١٣٠٦هـ./١٨٩٠م.

٣. رواد للأركيلة والقهوة لكنْ... إياكم والخمر والميسر

اشتُهر المقهى فكانت تقصده عائلات دمشقية أيام الجُمعة (العطلة الأسبوعيّة في سوريا) للنزهة أو السباحة أو التسوّق، وعائلات أخرى من حلب ومن اللاذقية تتواعد على اللقاء فيه، كما كان مقصدًا للسياح العرب.



احد الزبائن

أما روّاده المحليّون فكانوا يقصدونه باكرًا لتدخين الأركيلة ولعب الورق وطاولة النرد أو تناول أطيب ترويقة فول (مُحاطة بتشكيلة واسعة من الأصناف)، يخدمهم النادلان ديب النخّال وشقيقه فهد (كانت تعلو عينَه اليُمنى غشاوة) يلبيان طلباتهم ويتحركان كالمكوك بين الطاولات. وكان المسبحُ التابع المقهى عميقًا ذا شاطئ رملي ناعم، يديره الحاجُّ صالح عيد الذي كان يؤجّر **«الحسكات»** (الحسكة هي لوح **«ركمجة»** يُوَجَّهُ بمجذاف).



زبائن في المقهى

اعتاد مقهى الحاج داود أن يفتح أبوابه من الساعة الخامسة صباحًا حتى السادسة مساء حين تروح المنطقة تزدحم بروّاد الملاهي الليليّة والخَمّارات، فلا يختلط هؤلاء بروّاد المقهى الذي كان مُحرَّمًا فيه لعب القمار أو شرب الخمور.

وكانت للمقهى مساحة منفصلة بالشراشف مُخصصة للعائلات. ويروى أن الحاج داود إذ مرّ يومًا بتلك المساحة واشتمّ رائحة العرق الكحولي،

اقترب من الطاولة وأمسك بشرشفها من زواياه الأربع وحمله بما فيه من صحون وكبايات ومأكولات ورماه في البحر.

وعن السيدة **سُليمى شاتيلا يموت** (والدة النائب السابق الدكتور باسم يموت) أن والدها **الباشا محيي الدين شاتيلا**[٧] كان من رواد المقهى الدائمين، يتناول مع الغداء كوبَ ماء مع عصير الحامض. وذات يوم ظنّ أحد الزبائن أنه كأس عرق فطلب كأسًا مثله من النادل الذي أجّابه: «**واضح أنك غريب وهذه زيارتك الأولى. نحن لا نقدم الكحول في مقهى الحاج داود**»، وشرح للزبون حقيقة ما يتناوله الباشا شاتيلا.

كان المقهى ينفصل عن الشارع العام بزاروب (زقاق)، وكان له مدخلان وسُلّم (درج)، فيركن الزبائن سياراتهم في الزاروب. وقبيل أحداث ١٩٧٥، أطلقت بلدية بيروت اسم «الحاج داود» على الشارع رقم ٧١ في ميناء الحصن، تكريمًا له.



مقهى الحاج داود ١٩١٠

٤. شعراء وأدباء ورسامون... سياسيون وقضاة وصحافيون

كان بين روّاد المقهى مثقفون وشعراء وصحافيون وسياسيّون، منهم الشاعر أمين نخلة والرسام مصطفى فروخ ونقيب المحامين الشاعر ميشال عقل وآخرون ممن أسسوا تاريخ لبنان الحديث سياسةً وأدبًا وفكرًا. ومن زواره أيضًا النائب والوزير والأديب السوري عبد السلام العجيلي، وكان الشاعر العراقي أحمد صافي النجفي يعتبر **«مقهى الحاج داود»** مقرّه الدائم، يلتقي فيه أصدقاءه من الأدباء، وبينهم ميخائيل نعيمة والشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) ومارون عبود وسواهم. وكان النجفي يرتاح في المقهى إلى جلسته المزاجيّة: لا يكتفي بكرسي يجلس

٧) نال لقب الباشوية من الأمير فيصل وأصبح لاحقًا سفيرًا في ايطاليا، وكان يتقن سبع لغات.



مقهى الحاج داود ١٩٣٨

عليه، بل يطلب ثانيًا يمدّ عليه رجليه أو يتكئ عليه، وثالثًا يضع عليه الصحف، ورابعًا لكوفيته وعقاله، وكان أحيانًا ينزع حذاءه ويرفع رجليه واضعًا قدميه على حافة الطاولة، فيلتف حوله الرواد في حلقة تضيق أو تتسع حسب الظروف. وبرغم هذه الحلقة كان النجفي أحيانًا يسرح بخياله مُغمِضًا عينيه لا يفتحهما إلا ليُسجّل بيت شعر أو رباعيّة استوحاها من تلك الإغفاءة، يدوّنها على حواشي الصحف أو أغلفة علب السجائر، وليلاً يُحرّرها في غرفته المتواضعة على ضوء مصباح وحيد يتدفّأ بحرارته شتاءً.

ومن كبار الرواد أيضًا: المُربّي السوري محمد كامل بنقسلي[٨] وكان يتخذ كل صيف طاولة خاصة في المقهى يكتب عليها قصص الأطفال وكتب التربية النفسية للأولاد.

من ذكريات الرسام أمين الباشا: «**هذا المقهى يترُك عندي جوعًا إلى الطفولة. كنت أزوره صباح الأحد مع والدي فيدخل إلى مكتبة فيه يشتري الوالد كتابًا يقرأ فيه بينما أنا أشرب الكازوزة وأتأمل البحر**»[٩]. وكانت المكتبة ذات قنطرة حجرية وباب خشبي بجانب المقهى، يشتري منها الزبائن الكتب والمطبوعات أو يستأجرونها.

ومن أبرز الرواد السياسيين: الرئيس سامي الصلح منذ كان قاضيًا وحتى حين أصبح رئيسًا للحكومة، ونوابٌ ووزراء وصحافيون (منهم مؤسس «**النهار**» جبران تويني) كان المقهى منتدى لهم للتداول في أوضاع بيروت والسياسة والبلد.

وارتـاده القاضيان إحسان مخزومي ورفيق غـزاوي يلتقيان فيه المُحامين، والمدير في وزارة الزراعة المهندس عادل أبو النصر، وأعضاء من «**حركة القوميين العرب**» بينهم المحامي عمر زين (الأمين

٨) مستشار وزير التربية والتعليم في الكويت الشيخ عبد الله الجابر الصباح.

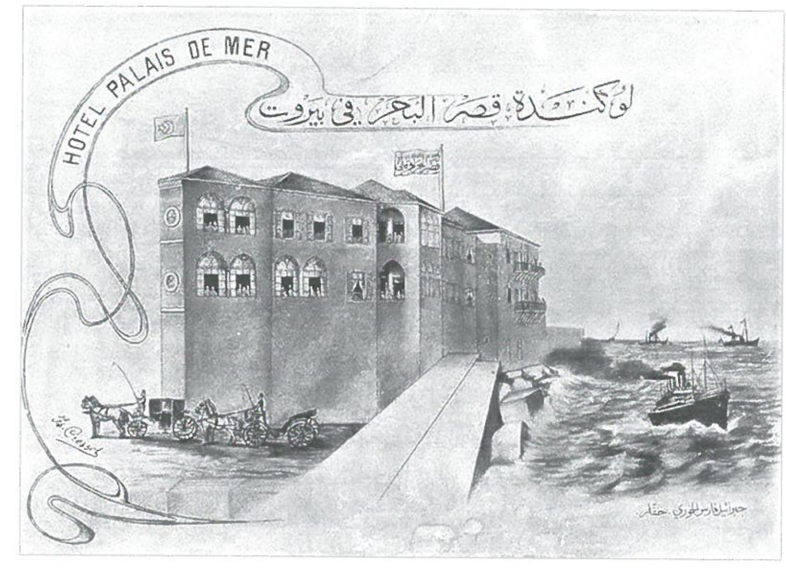
٩) حديث أمين الباشا إلى يقظان التقي، جريدة «**المستقبل**»، ٢٠١٦/١٠/١٨.

العام السابق لاتحاد المحامين العرب) ومنير منيمنة (صاحب مطبعة منيمنة)، والمحامي سامي الشعّار (الرئيس السابق لجمعية متخرّجي المقاصد الإسلامية في بيروت)، وجميل ملك (المدير السابق لفرع ضمان المرض والأُمومة في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي) والمصرفيّ راشد فرُّوخ، وعبد الرحمن بكداش العدو (نقيب القصّابين وتجار المواشي)، ومنير فتحة (نقيب تجار الفواكه والخضار بالجملة)، ويوسف دوغان (نقيب تجار الفواكه والخضار بالمفرق) وعثمان المعبّي (أمين سرّ النقابة) فيتداولون بمُستجدات الأمور السياسية والوطنية و«**يطبخون**» الانتخابات ويحضّرون لها، وينضم إليهم أحيانًا الرئيس تقي الدين الصلح. وكذلك الحاج محمد فضل خالد يلتقي فيه الدكتور محمد خالد (إبن سماحة المفتي محمد توفيق خالد ومؤسس المؤسسات الإجتماعيّة المعروفة بإسمه) وشقيقاه الدكتور بكري خالد ومختار خالد (عضو مجلس بلدية بيروت) والبروفسور وفيق سنو (الرئيس السابق لاتحاد جمعيّات العائلات البيروتية).

ومن طرائف ما يروى أنْ عند الحالات الطارئة كان يتمّ استدعاء الدكتور محمد خالد بإطلاق سهم ناري من سطح مستشفاه (في محلة البسطة ويُشرف على المقهى) فيرُدّ بإطلاق سهمين إشارةً أنه تلقى الخبر، فيركب سيارته البويك وينطلق مُسرعًا نحو المستشفى.

كان المقهى يستقبل رواده من جميع المناطق مُسلمين ومسيحيين ويهودًا (بينهم زكي زيتونة من كبار تجار الأجواخ)، ويرتاده قبضايات بيروت (منهم راشد اللوزي وأبو سعيد جنّون ودرويش بيضون)، ومختار محلة الأشرفيّة محمد شاكر بيضون، وكان مديرُ الأمن العام الفرنسي في سوريا ولبنان المفوّض كولومباني يلتقي القبضايات في المقهى لتسوية الأمور وتهدئة الأوضاع! وعن عائلة بيضون أن كولومباني كان صديقًا شخصيًّا لدرويش بيضون (أبو علي) ثم بات شريكه في أعماله التجاريّة! وذات يوم كان في المقهى ضابط فرنسي واضعًا ساقًا فوق ساق، ما كان يغيظ دُرويش بيضون الذي طلب منه أن يجلس معتدلاً، فأبى الضابط فأمسكه بيضون من كرسيه وقذف بهما إلى البحر! وكالعادة أزال كولومباني ذيول الحادثة! ومن رواده أيضًا (لقربه من الأسواق التجارية) تجار ورجال أعمال يقصدونه لتناول الترويقة واحتساء القهوة وتوقيع اتفاقات وإبرام صفقات.

كان «**مقهى الحاج داود**» ملتقىً رواد من كل لبنان، ورمزًا من رموز التلاقي الوطني وذاكرةً حيةً للحفاظ على التراث والحكايا الشعبيّة. وكان



لوكندة قصر البحر

لوكندة قصر البحر في بيروت

انه بحمد الله تعالى قد فتحنا محلاً جديداً بجوار البنك العثماني الجديد بقرب قهوة الحاج داوود الشاهق البنيان الحائز على المناظر المدهشة من جميع الاطراف التي تفضل الاقامة به على اعظم منتزهات جبل لبنان وقد اعددنا له مفروشات بديعة في غاية الاتقان مما لا يوجد لها مثيل الا في الاماكن المفتخرة مع مراعاة تمام الاستعداد للمآكل التي استحضرنا لها اشهر الطباخين وسميناه (لوكندة قصر البحر) وذلك لاجل راحة من يشرفونا ومن يشرف هذا القصر الجديد ويرى مناظره الطبيعية وحسن موقعه ونقاوة هوائه وتمام اتقانه وراحة نزلائه يرى ما يسره وبالله التوفيق

الحاج مصطفى عمر الطرابلسي

موقعه علامة فارقة في بيروت، منه ثبُتت رؤْية هلال شهر شعبان سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م.[١٠]. ويستدل منه على بعض العناوين. فسنة ١٩١٠ صدر في جريدة «**لسان الحال**» هذا الإعلان: «كلمة حق .. إنّ أتقنَ وأطهرَ نَزل، معنىً وحِسًّا، هو المُسمى «**لوكندة قصر البحر**» في بيروت بجوار **قهوة الحاج داود**، وهو الوحيد بمفروشاته النفيسة ومناظره البديعة برًا وبحرًا، وبالاختصار إن لسان حاله يُنادي بملء السرور:

يا ابن الكرام ألا تَدنو فتُبصر ما ... قد حدَّثوك فما راءٍ كمَن سَمِعا".

١٠) أرشيف المحامي عبد اللطيف فاخوري؛ والسجل الشرعي، ٢٧ شعبان ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م.

١١) عبد اللطيف فاخوري، **منزول بيروت**، ٢٠٠٣، ص. ٣٥٩.

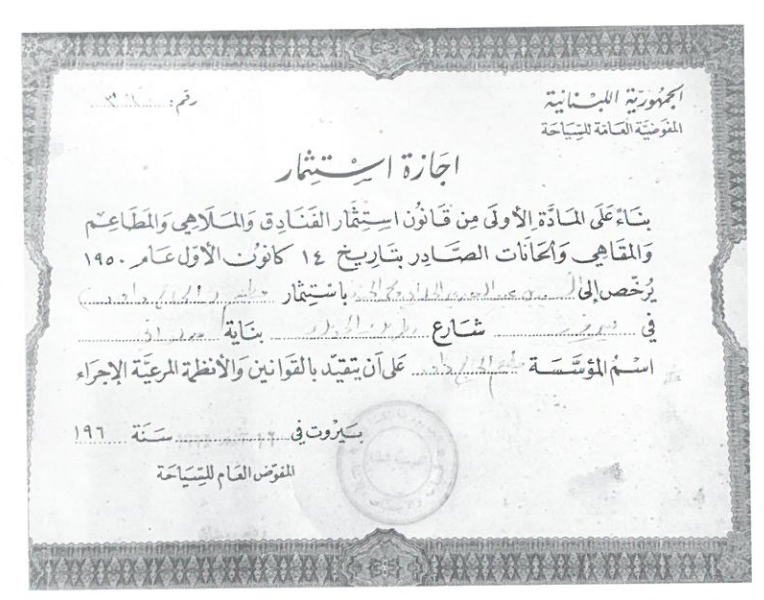
٥. من الحاج داود إلى الحاج الحلواني

توفي الحاج داود خطاب عام ١٩٠٤. ولم يرغب ابنه الحاج سعيد (وكان مدير الجمارك) أن يتفرغ للمقهى، فاتفق على إدارته مع **الحاج محمد الحلواني**، «**شيخ كار القهاوي**» يومئذٍ (رئيس نقابة أصحاب المقاهي) على أن يقتسما الأرباح.

ولدى وفاة الحاج سعيد، تاركًا ثلاثة أولاد: كامل (أخذ عن والده إدارة الجمارك) وداود (كان تاجرًا) ورمزية، استمر سريان الاتفاق مع الحاج محمد الحلواني وبعده مع ولديه عبد القادر وعبد الرحمن، ويعاونهما شقيقهما عبد العزيز.

ولدى وفاة سعدا الوزان[١٢] (أرملة الحاج سعيد خطاب) اشترى المقهى عبد القادر وعبد الرحمن الحلواني.

ومن طرائف صفقة الشراء أن يقدّم الشاري مجانًا إلى آل خطاب فنجان قهوة وقطعة من راحة الحلقوم مع المستكة عند ارتيادهم المقهى! وكان مقهى الحاج داود درج على تقديم راحة الحلقوم مع القهوة إلى زبائنه، وهي فكرة اقتبسها عنه حاليًّا بعض مقاهي وسط بيروت.


الجمهورية اللبنانية
المفوضية العامة للسياحة

رقم: ....

اجازة استثمار

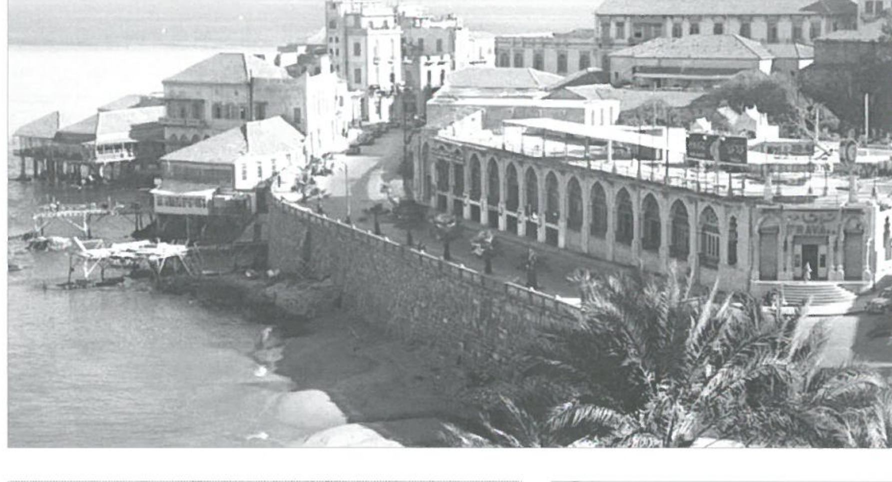
بناءً على المادة الأولى من قانون استثمار الفنادق والملاهي والمطاعم والمقاهي والحانات الصادر بتاريخ ١٤ كانون الأول عام ١٩٥٠ يرخص إلى .... باستثمار .... في .... شارع .... بناية .... اسم المؤسسة .... على أن يتقيد بالقوانين والأنظمة المرعية الإجراء

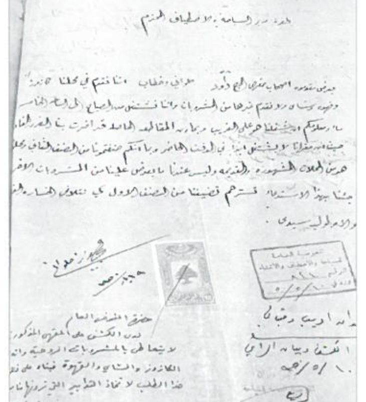
بيروت في .... سنة ١٩٦

المفوض العام للسياحة

إجازة استثمار

١٢) هكذا اسمها مدوَّن في إخراج قيد النفوس.





إجازة الحاج داود

لحضرة مدير السياحة والاصطياف المحترم

يعرض مقدموه أصحاب مقهى الحاج داود حلواني وخطاب أننا نقدم في محلنا كازوز وقهوة وشاي ولا نقدم غيرها من المشروبات واننا نشتغل من الصباح الى الساعة الخامسة مساء ومعلومكم ان شغلنا هو على الغريب وبما ان المقاطعة الحاصلة قد أضرت بنا الضرر الفادح حيث أن مقهانا لا يشتغل ابدًا في الوقت الحاضر وبما انكم صنفتمونا من الصنف الثاني ومحلنا هو من المحلات المشهورة والقديمة، وليس عندنا ما يعوض علينا من المشروبات الأخرى جئنا بهذا الاستدعاء نسترحم تصنيفنا من الصنف الأول كي نتلافى الخسارة الفادحة، والأمر لوليه سيدي.

٩ أيار ١٩٥٠

التوقيعان

ختم المفوضية العامة للسياحة والاصطياف والإشتاء

الرقم ٨٤٤ - ورد في ١٩٥٠/٥/١٠

طابع أميري ٢٥ قرش

السيدان أديب وقباني......... الكشف وبيان الرأي ١٩٥٠/٥/١٠.

رئيس ديوان المفوضية العامة للسياحة

حضرة المفوض العام

لدى الكشف على المقهى المذكور .... تبين انه لا يتعاطى بالمشروبات الروحية وأنه .... يقدم الكازوز والشاي والقهوة فبناء على ذلك ...... هذا الطلب لاتخاذ التدابير التي ترونها مناسبة.

١٩٥٠/٥/١١

مفتشا السياحة

حضرات السادة حلواني وخطاب، المحترمين،

اصحاب مقهى الحاج داوود

جوابا على استدعائكم المؤرخ في ٩ آيار ١٩٥٠،

نفيدكم بان نتيجة الكشف على محلكم اسفرت عن ابقائه

في صنفه الحالي ./.

بيروت في ١٢ أيار ١٩٥٠

المفوض العام

للسياحة والاصطياف والاشتاء

رد سلبي

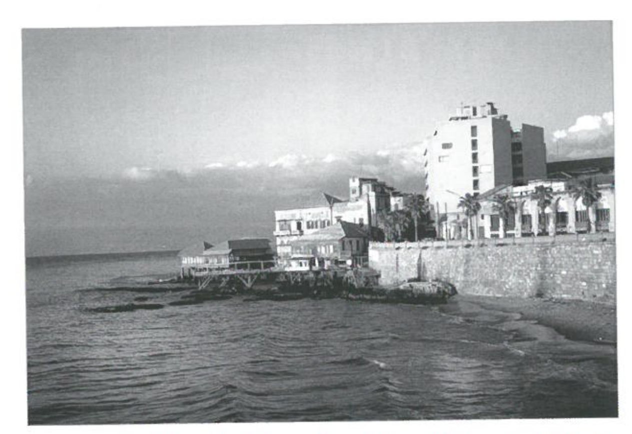
٦. في ذاكرة الشعر والسينما



من ذاكرة المقهى الفنية أن المخرج مارون بغدادي صوّر فيه سنة ١٩٧٥ مشاهد من فيلمه «بيروت يا بيروت» مع عزت العلايلي وميراي معلوف وجوزيف بو نصار وأحمد الزين وثريا خوري[١٣]، وصوّر فيه أيضًا سنة ١٩٨٠ فيلمه الوثائقي «**همسات**» عن الشاعرة ناديا تويني، وكان المقهى مدمَّرًا.

ومن الأفلام التي ظهر فيها المقهى: الفيلم الفرنسي «*La Grande Sauterelle*» للمخرج جورج لوتنير مع ميراي دارك وهاردي كروغِر سنة ١٩٦٧، ومشهد موّال محمد مرعي في فيلم «**سفر برلك**» للأخوين رحباني سنة ١٩٦٧.

عرف المقهى مرارًا عمليات تأهيل من خراب أو إهمال. سنة ١٩٦٨ ضربته عاصفة عنيفة، ثم جاءت حرب ١٩٧٥ فظل المقهى مهجورًا حتى أصابه دمار جزئي ثم اشتعلت فيه نار القذائف فرمّدته في كانون الأول ١٩٧٥. وعند ترميم المنطقة في التسعينات، اختفى المقهى ومعه شارع الحاج داود.



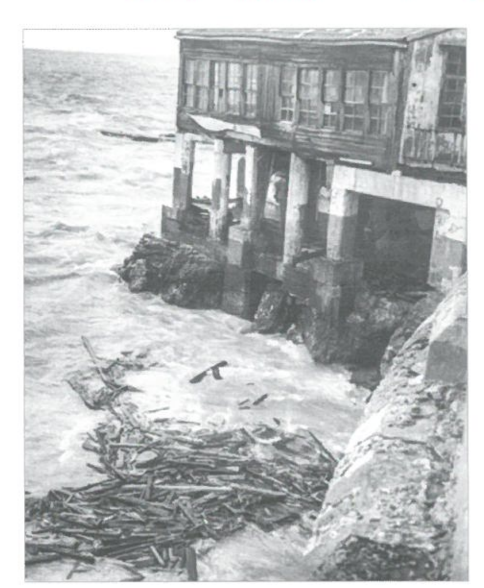
مقهى الحاج داود ١٩٦٥ – بكاميرا المصور الأميركي تشارلز كوشمن

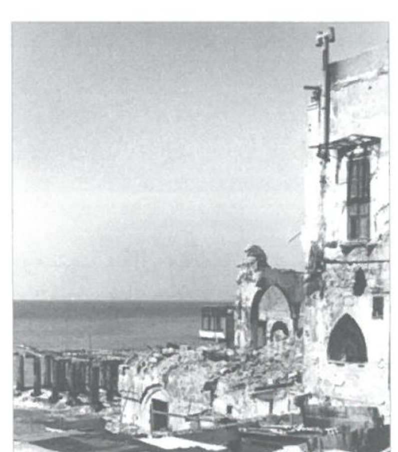
١٣) ملصق فيلم «**بيروت يا بيروت**»، لمارون بغدادي، واعتُبر الفيلم يومها تَنَبُّؤًا بالحرب.



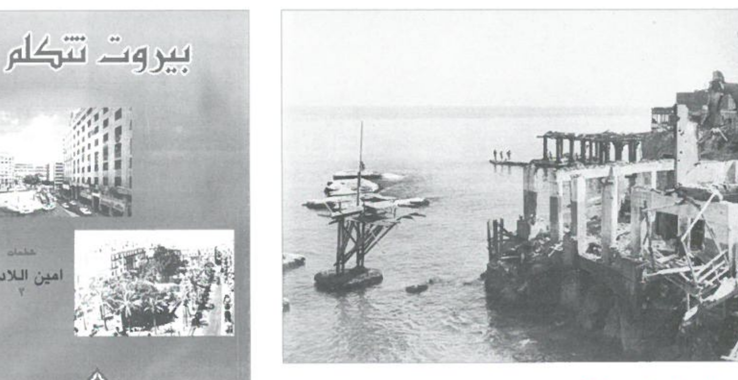
ولشاعر بيروت أمين اللادقي قصيدة يتحسر فيها على ما أصاب بيروت من خراب حتى ضاعت معالمها، ومن أبياتها وصفُ مُروره في أسواق بيروت الضائعة وسْط الدمار:

... فـمررتُ، لا إدريسُها إدريسُ — أو كان في سوق الجميل أنيسُ
ونزلـتُ نحـو البحـر فـي داووده — مـا كان فـيـه مُؤَركِـلٌ وجليسُ
ومشيتُ في سوق الطويلة كي أرى — كيـف الخـرابُ يُريـده إبليسُ[١٤].





مقهى الحاج داود ١٩٦٨
بعدما ضربته العاصفة البحرية



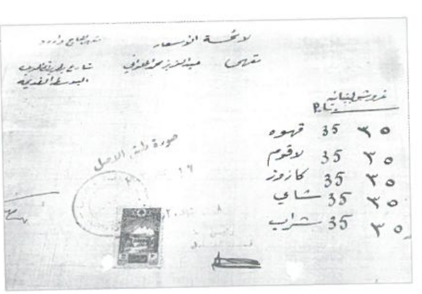
مقهى الحاج داود ١٩٧٥



١٤) أمين لادقي، بيروت تتكلم، دار العُلوم العربية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص. ١٧.

٧. أطباق سائدة و«أسعار متهاودة»

سنة ١٩٧٠ كانت تعرفة المقهى: **«الأركيلة مع القهوة والمرطبات ٤٠ قرشًا، صحن الفول مع رغيفين وسرفيس كامل ٧٥ قرشًا، صحن خضرة مطبوخة خمسة أصناف وقرص كبّة مع رغيفين ١٥٠ قرشًا، أوقية اللحمة المشوية ورغيفان وسرفيس أو كيلو سمك مقلي أو مشوي ثلاث ليرات، وإذا أضيف حمص أو طرطور أو سلطة أو كبيس ٥٠ قرشًا». وكان يقدّم بعد الأكل «فروتّو» (فاكهة موسمية). كانت القهوة مغليّة على الفحم «الـدّقـة»، أمـا الأركيـلـة فـإذا أحضر الزبون تنباكها معه كان «الأركلجي» الحاج رباح حرب يتقاضى ٣٥ قرشًا فقط لقاء الخدمة».**


قهوه 35 ٣٥
كازوز 35 ٣٥
شاي 35 ٣٥
شراب 35 ٣٥

لائحة الأسعار

وشهد المطعم إقبـالاً كثيفًا على صحن عُـرف بـ«**مخلوطة**» يضمّ تشكيلة طبخات تعرفته ليرة واحدة، فأقبل عليه موظفو الشركات وعمال الـورش والمحلات التجارية، وبينهم عُمّال ورشة الحاج أحمد فتح الله للأبواب الحديدية.



مقهى الحاج داود ١٩٧٤

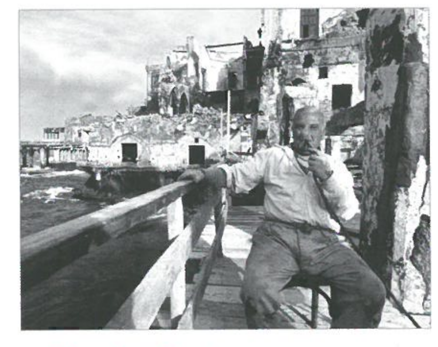


مقهى الحاج داود ١٩٧٢

من اليمين: مقهى البحرين - مقهى الحاج داود - مقهى البحري

ويتذكر صيّاد السمك الشهير «أبو خليل النجماوي»: **«هو أحد أشهر مقاهي بيروت القديمة على الإطلاق، ولا أطيب من أكل الفول المدمّس وحمص «المسبّحة» أمام منظر البحر... كنت أهوى السباحة هناك، وأتصيّد وأبيع السمك لقهوة الحاج داود التي كانت كأنها جزيرة وسط المياه»**[١٥]. وعلى ذكر السمك طُرفة رواها عمر فاخوري (١٨٩٥–١٩٤٦) عن زريق السمّاك أن طريق البحر في الحرب العالمية الأولى كان مُقفلاً، ونُمي إلى الصيّادين أن قومًا يُدعَون «**البُلشفيك**» ثاروا وأخلّوا بالنظام فأُغرقوا في البحر الأسود. وظهر فترتئذٍ عند ساحل الزيتونة صنف سمك غريب لا نعرفه سميناه «**البلشفيك**»[١٦].

وعن ساحل الزيتونة الحديث كتب الأستاذ عبد اللطيف فاخوري: **«خليج الزيتونة لَحِقتْه العُجمة فأصبح «زيتونة باي». و«الحاج داود» لم يعد مرغوبًا به في الزيتونة الجديدة»... «الرملة والدالية والزيتونة باي، تقول للبيارتة: باي باي»**[١٧].


مقهى الحاج داود ١٩٩٠

١٥) محمد نزّال، «كان اسمها الزيتونة... حين يقتل السلْم ما عجزت عن قتله الحرب»، **جريدة الأخبار**، ٢٠١٦/٩/٢١.

١٦) عمر فاخوري، **الاتحاد السوفياتي حجر الزاوية**، ١٩٤٤، ص. ١٥.

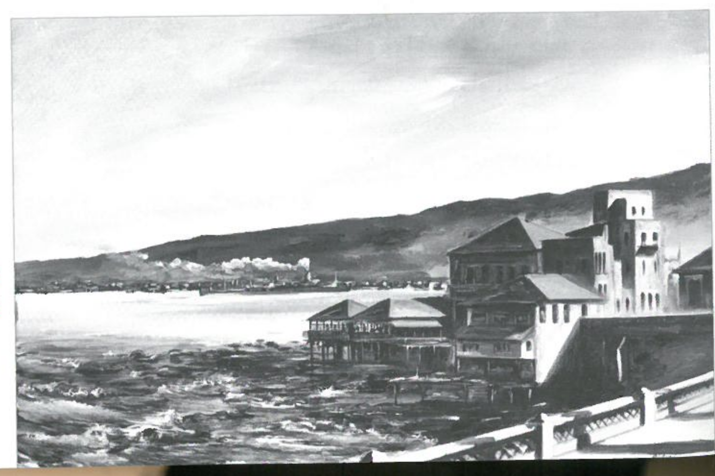
١٧) عبد اللطيف فاخوري، «الحاج داود خطاب غير مرغوب به في الزيتونة باي، ولكل زمان زيتونة... وزبائن»، **جريدة اللواء**، ٢٠١٢/٩/٥.


داود الحفيد (إلى اليسار) وشقيقه كامل (إلى اليمين)
يحيطان بأمهما سعدا أرملة سعيد ابن الحاج داود صاحب المقهى
(أرشيف عبد الفتاح خطاب)

تلك ذكرياتي عن الحاج داود خطاب (جدّ والدي) رحمه الله. كان مقهاه «**أيقونة الشاطئ**» ورمزًا من رموز بيروت الجميلة الأصيلة.

وتلك بيروت التي أحنّ إليها كما عرفتُها، وعشتُها، و... عشقتُها كثيرًا!


لوحة أكواريل للفنان نبيل سعد ٢٠١٦



لوحة أكواريل
للفنان نبيل سعد ٢٠١٧

كفالة الحاج داود عبد الكريم خطاب

أيام الحاج داود: هكذا كانت الثقة ضمانة الكفالة

كان الحاج داود رجل نخوة ويُبادر إلى مُساندة أصدقائه المتعثّرين. ومن مآثره في هذا، أن عبد الرحمن نجا التزم مَحمَص البنّ في بيروت (كان المَحمَص من احتكار الإدارة) لقاء إثني عشر ألف غرش لخزينة إيالة صيدا) من كسروان شمالاً إلى الحدود المصرية جنوبًا، لقاء كفالة مالية بهذا المبلغ وهو مبلغ ضخم في المعايير المالية في تلك الأيام. لم يتمكن عبد الرحمن من تسديده، فبادر الحاج داود خطاب إلى تقديم كفالته للخزينة بتسديد القيمة دون أن يطلب أي ضمان من نجا مقابل كفالته.

ولاحقًا قام مصطفى نجا فكفل شقيقه عبد الرحمن بالمبلغ المكفول من الحاج داود. ولضمان حق الحاج داود رهن مصطفى قطعة أرض في حيّ الرميلة مساحتها ٢٢٠٠ ذراع، وأقيم الحاج داود وكيلاً عن الراهن ببيع المرهون ووفاء المبلغ عن شقيقه تجاه الخزينة إذا استحق أداء مبلغ الإلتزام ولم يدفعه أحد الخ... «كما يظهر في الوثيقة المؤرخة ٢٧ شوال ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م»، ويتبيّن فيها أن الكفالة في تلك الحقبة كانت تستند على الثقة مع أن «الكفيل حطّاط» (مُلزَم بالغُرم). ومع ذلك سارع الحاج داود إلى كفالة عبدالرحمن حتى قبل أن يكفل مصطفى شقيقه عبدالرحمن.